

التفكير مثل خادم

”وَأَمَّا عَبْدِي كَالِبُ فَمِنْ أَجْلِ أَنَّهُ كَانَتْ مَعَهُ
رُوحٌ أُخْرَى وَقَدْ اتَّبَعَنِي تَمَامًا.“

عدد ١٤ : ٢٤

”فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هَذَا الْفِكْرُ الَّذِي
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا.“

فيلبي ٢ : ٥

إن الخدمة تبدأ في ذهنك .

أن تكون خادماً فذلك يتطلب تبديلاً ذهنياً، وتغييراً في اتجاهاتك . إن الله لا يهتم بما نفعه بقدر ما يهتم بالأسباب والدوافع، إذ أن السلوكيات تُقدَّر أكثر من الإنجازات . لقد فقد الملك أمصيا استحسان الله لأنه ”عمل المستقيم في عيني الرب ولكن ليس بقلب كامل“ . إن الخدام الحقيقيين يخدمون الله وفقاً لخمسة اتجاهات ذهنية .

إن الخدام يفكرون في الآخرين أكثر من أنفسهم . يركّز الخدام على الآخرين، وليس على أنفسهم . ليس الإرضاع الحقيقي أن تقلل من نفسك، بل أن تقلل التفكير في نفسك . إنهم كثيرو النسيان لأنفسهم . فقد قال بولس، ”لَا تَنْظُرُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى

مَا هُوَ لِنَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَا هُوَ لِآخَرِينَ أَيْضًا. “ وفي الترجمة الإنجليزية MSG يفيد المعنى ”انسوا أنفسكم لفترة كافية حتى تمدوا يد المساعدة للآخرين.“^٢ وذلك ما يعنيه ”إضاعة حياتك“ - إنه نسيان نفسك في خدمة الآخرين. عندما نكف عن التركيز على احتياجاتنا الذاتية، فإننا نصبح مدركين لاحتياجات من حولنا.

لقد ”أخلى يسوع نفسه آخذاً صورة عبد“^٣ متى كانت آخر مرة أخليت فيها نفسك لمصلحة شخص آخر؟ لن يمكنك أن تكون خادماً إن كنت معتاداً بنفسك. فإننا نعمل أشياء تستحق التذكر فقط عندما ننسى أنفسنا.

للأسف، فإن كثيراً من خدمتنا تكون غالباً خدمة ذاتية. نحن نخدم لنجعل الآخرين يحبوننا، ويُعجبون بنا، أو لنحقق أهدافنا الذاتية. ذلك تلاعب، وليس خدمة، إذ أننا نفكر طوال الوقت في أنفسنا وكم أننا نبلاء ورائعون. كذلك يحاول بعض الناس أن يستخدموا الخدمة كأداة مساومة مع الله: ”سوف أفعل ذلك لأجلك يا رب، إذا فعلت شيئاً لأجلي“. الخدام الحقيقيون لا يحاولون استخدام الله لأجل مقاصدهم، لكنهم يدعون الله يستخدمهم لأجل قصده.

إن صفة نسيان الذات نادرة للغاية، تماماً مثل الأمانة. فقد علم بولس أن تيموثاوس كان هو المثال الوحيد، من بين جميع الناس، الذي يمكن أن يشير إليه.^٤ إن التفكير مثل خادم هو أمر صعب لأنه يتحدى مشاكل حياتي الأساسية: فأنا أناني بالطبيعة. إنني أفكر معظم الوقت في نفسي. لذلك فإن التواضع هو صراع يومي، وهو

درس يجب أن أتعلمه مرات ومرات. إن الفرصة لأن أكون خادماً تواجهني مرات عديدة يومياً، إذ يُقدم لي الاختيار بين تسديد احتياجاتي أو احتياجات الآخرين. فنكران الذات هو روح الخدمة.

يمكننا أن نقيس قلب الخادم الذي لدينا عن طريق رد فعلنا عندما يعاملنا الآخرون مثل الخدام. كيف يكون رد فعلك عندما يُفترض جِدلاً أنك مرؤوس، أو تُعامل باعتبارك تابعاً؟ يقول الكتاب المقدس، ”وَمَنْ سَخَّرَكَ مِثْلًا وَاحِدًا فَادْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ“

وفي الترجمة الإنجليزية MSG يفيد المعنى "إذا أراد أحد أن يستغلك فأنتهز الفرصة لتمارس حياة الخدمة".^٥

إن الخدام يفكرون كوكلاء، وليس كملاك. يتذكر الخدام أن الله يمتلك كل شيء. فقد كان الوكيل، في الكتاب المقدس، هو الخادم الذي يؤتمن على إدارة الممتلكات. وكان يوسف من نوعية هؤلاء الخدام عندما كان سجيناً في مصر. فقد أئتمنه فوطيفار على بيته. ثم أئتمنه السجّان على سجنه. وفي النهاية أئتمنه فرعون على الأمة بأكملها. إن الخدمة والوكالة يسيران جنباً إلى جنب،^٦ حيث أن الله يتوقع منا أن نكون أهل ثقة في كليهما. يقول الكتاب المقدس، "ثم يسأل في الوكلاء لكي يوجد الإنسان أميناً".^٧ كيف تتصرف في الموارد التي أئتمنك الله عليها؟

يجب أن تسوّي قضية المال في حياتك، وذلك حتى تصبح خادماً حقيقياً. فقد قال يسوع، "لا يقدر خادم أن يخدم سيدين.. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال".^٨ إنه لم يقل، "لا يجب" بل "لا يقدر". فذلك مستحيل، إذ أن العيش لأجل الخدمة والعيش لأجل المال هدفان متضادان. فأياً منهما سوف تختار؟ إذا كنت خادماً لله، فليس بإمكانك أن تسلط الأضواء على نفسك، بل إن كل وقتك يخص الله، إذ أنه يصبر على الولاء التام، وليس الأمانة الجزئية.

إن المال لديه أعظم إمكانية لاستبدال الله في حياتك، فقد انحرف كثير من الناس عن الخدمة بسبب الأمور المادية أكثر من أي سبب آخر. إنهم يقولون، "سوف أخدم الله بعد تحقيق أهدافي المادية". ذلك قرار أحمق سوف يندمون عليه إلى الأبد. عندما يكون يسوع سيدك، فإن المال يخدمك. لكن إن كان المال سيدك، فإنك تصبح عبداً له. ليست الثروة خطية بالتأكيد، وإنما الفشل في استخدامها لمجد الله. يهتم خدام الله دائماً بالخدمة أكثر من المال.

إن الكتاب المقدس واضح جداً: يستخدم الله المال لاختبار أمانتك كخادم. لذلك فقد تكلم يسوع عن المال أكثر مما تكلم عن السماء والجحيم. فقال، "فإن لم تكونوا أمناء في مال الظلم فمن يئتمنكم على الحق".^٩ إن الكيفية التي تدير بها أموالك تؤثر على كم البركات التي يمكن أن يغدقها الله على حياتك.

